الطقوس الاجتماعية وعلاقتها بأساليب استخدام الماء في الأسر الجزائرية
دراسة ميدانية حول عينة من الأسر ببلدية باب الواد (ولايةالجزائر) وبلدية تمنطيط(ولاية أدرار)

The social rituals and their relation to the methods of using water in Algerian families
A field study on a sample in families of the municipality of Bab El Oued and the municipality of Tamantit

شارف سميرة[1*]
[1]قسم علم الاجتماع جامعة الجزائر، samira.chareuf@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2019/08/20 تاريخ القبول: 2020/01/30 تاريخ النشر: 2021/01/16

ملخص:

العادات الاجتماعية لاستخدامات الماء هي مفتاح لتفسير العقلية الجزائرية وميولاته نحو التكيف في بيئة يتحكم فيها المعتقد والخرافة. ذلك لأنها انتقلت واستمرت إلى جيل اليوم من خلال التنشئة الاجتماعية،وأصبحت في بعض الأحيان ممارسة يطبعها التقليد دون معرفة اتجاهها الحقيقي للوقاية أو دفع الضرر عن الشخص المقلد أو أحد من أفراد أسرته. ولتحقيق أهداف الدراسة تم الاعتماد على المنهج الوصفي، المنهج المقارن، المنهج الأنثروبولوجي مع تطبيق أداة الملاحظة والمقابلة.وتوصلت الدراسة إلى ظهور الطقوس الشعبية لكلتا البلديتين في استخدام الماء من خلال طقس الاستحمام، رش الماء، الاستسقاء، الزواج، الطهارة(الختان)، الاحتفالات الدينية، المرأة العانس، السفر،بحيث تبقى هذه العادات إرثا اجتماعيا تربط الماضي بالحاضر وتشكل هوية المجتمعالذي حدث فيه.

كلمات مفتاحية: الطقوس الاجتماعية، العادات الاجتماعية ، استخدام الماء ، المعتقد، الثقافة الجزائرية

*شارف سميرة، asamira.chareuf@univ-alger2.dz

Abstract:

The social customs of water use are the key concept to interpreting how Algerians think and how do they tend to adapt in an environment dominated by belief and superstition. Indeed, these customs continued to exist from generation to another via socialization. Sometimes, they become practices characterized by tradition without knowing its real direction to protect the follower or a member of his family.

In order to achieve the objectives of the study was based on the descriptive approach, comparative approach, and anthropological approach, apply the observation and interview tool. The study found the appearance:

The folk rituals of the two municipalities show the use of water for bathing ritual, water sprinkling, as cites, marriage and circumcision, religious ceremonies; spinster woman, and traveling...etc.

These behaviors remain a social heritage that link the past to the present to forms the identity of the society.

Keywords: Social rituals; social customs; the use of water; belief; Algerian culture.

Résumé :

Les coutumes sociales de d'utilisation de l'eau sont la clé de la mentalité algérienne et de sa tendance à l'adaptation dans un environnement dominé par la croyance et la superstition. Ces coutumes sont continues et se transfèrent d'une génération à une autre et devenaient parfois des pratiques imprimées par la tradition sans connaitre la direction réelle de la prévention ou des dommages à l'imitateur ou à un membre de sa famille. Pour atteindre les objectifs, l'approche descriptive, l'approche comparative, l'approche anthropologique ont été adoptés dans cette étude. Une observation et un entretien ont été utilisés .L'étude a montré les résulta suivants :

Les rituels folkloriques des deux municipalités montrent l'utilisation de l'eau pour le baignade, l'aspersion d'eau, les ascites, le mariage, la circoncision rituelle, les cérémonies religieuses, veille fille, les voyages... . Les coutumes restent

un héritage social liant le passé au présent afin qu'il forme l'identité de la société dans laquelle il s'est produit.

Mots clés: Les Rites sociaux ; les coutumes sociales ; l'utilisation de l'eau ; la croyance ; la culture algérienne.

مقدمة

محافظة المجتمع الجزائري في استخدام الماء على خصائصه الثقافية الاجتماعية في المدينة لمدة طويلة يعكس مميزات أنماط الحياة الاجتماعية التقليدية كالعادات والتقاليد التي قد "تشكل المخبأ الدائم يعود إليه الفرد عند كل أزمة أو كبوة ليجد فيه الأمن والاطمئنان حماية لذاته ولهويته الثقافية والاجتماعية" (محمد س.، 1998، ص 42)

إن العادات الاجتماعية بكل قيمها ومعاييرها المبنية على الروابط التقليدية القبلية تشكل اتجاها نحو مجتمعات بدائية مقابل متحضرة، ومدخلا للتقديس استخدام الماء حسب تصور المجتمع بربط الجانب الروحي بالجانب المادي من خلال المعتقد والخرافة.

فالبعد الاجتماعي للإنسان حامل التراث الشعبي، يتصل بالعقل الجمعي والمشاعر الجمعية، التي تظهر عادات الجماعة وتقاليدها وطقوسها في جعل استخدام الماء له اتجاه سيكولوجي يمد بالراحة النفسية. وهذا ما نحاول الوقوف عنده من خلال هذا المقال الذي يبين الطقوس الاجتماعية التي مازالت الأسر الجزائرية تحافظ عليها في استخدام الماء داخل المدينة بأخذ عينة من بلدية باب الواد وبلدية تمنطيط .

1.تحديد المفاهيم:

1.1.العادات الاجتماعية:

عرف مالينوفسكي العادات الاجتماعية على أنها روتين الحياة الحقيقية الذي يشهده الأفراد، ذلك الروتين الذي يتعلق بطبيعة اللهجة واللغة التي تستعمل في الحياة اليومية، والتي تتفاعل مع الرموز السلوكية فتكون جملة من ظواهر اجتماعية معقدة، يصعب على العالم تدوينها أو وصفها أو تحويلها إلى أرقام، لكن يمكن مشاهدتها وقت حدوثها أو التكلم عنها (الكتاب، 1997، ص 144)

والعادة هي فعل اجتماعي تمثل تجسيدا لثقافة مادية أو تمثل عنصرا من عناصر الثقافة الروحية، ولممارسة العادة يلزم الجماعة وهو يدخل ضمن الممارسة الاجتماعية. وهي شيء ملموس، فالعادات وقائع اجتماعية، ورموز، وصور تتجلى فيه جوانب الحياة الاجتماعية للجماعة، ويمكن تفسيرها في ضوء البنائية الوظيفية. وتنقسم العادات إلى قسمين:

1.1.1.عادات فردية :

وهي حسب ما نلاحظه يوميا مجموعة من العادات المتعلقة بالمظهر السلوكي الذي يمارسه الأفراد مثل عادة تصفيف الشعر أو عادة الكلام. لذلك يمكن أن نقول عنها عادات متعلقة بشخص الإنسان، لأن يمكن للفرد أن يمارسها دون الحاجة إلى المجتمع، ويوجدها لحاجته حتى يتمكن من تنظيم حياته ولكن هي تجعل الحياة سهلة عندما يتكرر القيام بالعمل، وعليه فهي تعبير شخصي عن استجابات لظروف الحياة (فايزة، 2013، ص 105)

2.1.1عادات اجتماعية :

تشكل العادات الجماعية أسلوبا في الحياة لا يخرج عن إطار الحياة الاجتماعية، وناتجة عن تفاعل أفراد المجتمع مع بعضهم البعض لذلك لا يستطيع الإنسان أن يخرج عن إطارها، كما أنها وسيلة لحفظ كيان المجتمع، وتنشأ تلقائيا من أجل تحقيق أغراض متعلقة بأوضاع الجماعة ومظاهر سلوكها (فايزة، 2013، صفحة 105) فهي تعبر عن مجموعة الأنماط السلوكية وتتناقلها عن طريق التقليد والتفاعل مع الآخرين (عماد، 2006، ص 135)

2.1.استخدام الماء :

حسب دراسة أمريكية يستخدم الماء في جميع المجتمعات للشرب والطهي والتنظيفوالترفيه. (www.encyclopedid.com)، .(2017

أما التعريف الإجرائي:

ونقصد به أسلوب الاستخدام الذي يربط الماء بالاعتقادات لما وراء الطبيعة وهي تضم كل الأفعال ذات تخيل ذهني لعنصر الماء، وتترجم إلى سلوكات فردية أو اجتماعية تقي الإنسان من صعوبة الحياة وتسمح بعبوره نحو مرحلة جديدة نموذجية.

3.1.الطقوس الاجتماعية:

تعرف عند علماء الأنتربولوجيا الاجتماعية على أنها مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعة للقيام بها (Segalen, 1998, p. 08)

والطقوس حسب راد كليف برون هي حدث رمزي يعبر عن قيم اجتماعية مهمة. (ميتشل، 1998، ص176)

أما التعريف الاجرائي: الطقوس الاجتماعية هي أفعال سلوكية تواصلية لقواعد منتظمة متعارف عليها لدى أفراد الجماعة في الحياة اليومية، ممارستها رمزية مضبوطة زمنيا و صفتها تكرارية، لها دلالات ومعاني في المتخيل الجمعي في المجتمع.

4.1.المعتقد:

يعرف المعتقد بأنه أول أشكال التعبيرات الجماعية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأهل الذهني، ويبدو أن توصل الخبرة الدينية إلى تكوين معتقد هو حاجة سيكولوجية ماسة، لأن المعتقد هو الذي يعطي الخبرة الدينية شكلها المعقول، الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها. (فراس، 1994، ص 47)

والمعتقد الشعبي ظاهرة اجتماعية تتكون من تفاعل الأفراد في علاقتهم الاجتماعية، وتصوراتهم حول الحياة والوجود، والقوى الطبيعية المخيفة، والمسيطرة والمتحكمة في تسيير الحياة الكونية لأسباب عديدة أهمها : التراكم الاجتماعي للعادات والتقاليد والأفكار، فيصبح المعتقد ذا قوة آمرة قاهرة، فهو يأمر في حالة الايجاب، ويقهر في حالة السلب. (حسن و محمد، 1988، ص 6)

5.1.الثقافة الجزائرية:

الثقافة عند مالينوفسكي "هي ذلك الكل الذي يحتوي أدوات ومواد استهلاك، والمواثيق القانونية التي تنظم مختلف التجمعات الاجتماعية، والأفكار والفنون، والمعتقدات والعادات سواء تصورناها ثقافة بسيطة جدا أو أكثر بدائية، أو على العكس ثقافة معقدة ومتطورة جدا، فالأمر يتعلق بجهاز واسع، مادي من جهة، وإنساني من جهة ، وروحي من جهة أخرى.(Malinouwski, 1968, pp. 35-36) "

والثقافة الجزائرية هي "السمات الثقافية الخاصة بالمجتمع الجزائري والتي تشكل أسلوب حياة خاص بالجزائريين، وتبلور نظرتهم إلى ذواتهم والآخرين والعالم. وهذا الأسلوب وتلك النظرة يتجليان في سلوكهم، والقيام والمعتقدات التي يؤمنون بها، والعادات والتقاليد والأعراف التي يتمسكون بها، والتصورات التي تسود بينهم" (عبدالله، 2010، صفحة 115.(

أما التعريف الاجرائي للثقافة الجزائرية: هي مجموع ما يختزنه الجهاز السلوكي من التصورات والممارسات والمعتقدات المتعلقة بالموضوعات المقدسة على أساس التقليد، في ظل التغيرات الثقافية والاجتماعية في المجتمع الجزائري، تكون ثقافة متكررة ومتفق عليها في الجماعة وتتناسب الغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي القيام بها.

2.الاطار المنهجي للدراسة:

1.2.المرحلة الأولى من المنهجية: النظري

1.1.2.مشكلة البحث:

تتمثل في الإجابة على السؤال التالي: ماهي الطقوس الاجتماعية التي لها علاقة بأساليب استخدام الماء في الأسر الجزائرية في بلدية باب الواد وبلدية تمنطيط؟

التساؤلات الفرعية:

-ما هي أنواع المياه المستخدمة في الطقوس لعادات الأسرة الجزائرية في بلدية باب الواد وبلدية تمنطيط؟

-كيف يربط التصور الذهني المعتقد وأساليب استخدام الماء في الأسرة الجزائرية في بلدية باب الواد وبلدية تمنطيط؟

2.1.2.فروض البحث:

الفرضية العامة: وجود طقوس اجتماعية لها علاقة بأساليب استخدام الماء في الأسر الجزائرية في بلدية باب الواد وبلدية تمنطيط.

الفرضيات الجزئية:

-تعدد أنواع المياه المستخدمة في الطقوس لعادات الأسرة الجزائرية في بلدية باب الواد وبلدية تمنطيط.

-يربط التصور الذهني المعتقد بأساليب استخدام الماء في الأسرة الجزائرية في بلدية باب الواد وبلدية تمنطيط حسب المستوى التعليمي.

3.1.2.الدراسة السابقة:

يعتبر الماء ظاهرة اجتماعية وثقافية سبب ارتباطه بعملية إنتاج وإعادة إنتاج مجموعة من المظاهر السوسيو- ثقافية التي تحملها مختلف الحقول الدلالية المرتبطة به. وأهم الدراسات التي تعرضت لموضوع الدراسة من جانب الطقوس الاجتماعية نعرضها فيما يلي:

1.3.1.2.الدراسات المحلية(الجزائرية):

دراسة **إبراهيم، بن عرفة وجمال، معتوق** حول "الماء بين المقدس والطقوس الممارسة" (إبراهيم و جمال، 2017)، هي دراسة مونوغرافية في منطقة بئر الذهب تبسة. قاما الباحثان بالبحث عن دلالة الماء واستخدامه لدى سكان الجزائر منذ العصور الغابرة إلى عصرنا المعاصر، واتفقت مع الدراسة الحالية في الكشف عن دلالة الماء واستخدامه في الأسر الجزائرية، وتم الاستفادة منها في كيفية تطبيق المنهج الأنثروبولوجي لموضوع الماء والقداسة والممارسات المتناقلة جيلا بعد جيل، في تحليل المعطيات الميدانية. كما تناولت الدراسة الروايات المتداولة من التراث الثقافي اللامادي، وانتهت بحضور تقديس استخدام الماء في المعتقد الشعبي.

2.3.1.2. الدراسات العربية(المغرب):

دراسة **حنان، حمودة** حول "الماء كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج الطقوس بواحة سكورة جنوب المغرب" (حنان، 2016)، هي دراسة البنى الأنثروبولوجية التقليدية للمجتمع المغربي في مرحلة ما من مراحله التاريخية والاجتماعية والسياسية. واتفقت مع هذه الدراسة في الكشف عن عقلية الفرد وبنيته الذهنية والسيكولوجية والسوسيولوجية. وكلا الدراستين ميدانية بامتياز، حيث كشفتا عن الطقوس

المائية المخزنة داخل الذاكرة الجماعية على شكل اعتقادات وممارسات كانت سائدة قبل مجيء الدين الإسلامي والكثير من هذه العادات تتناقض مع الدين الإسلامي. وكذلك من النقاط المشتركة استخدام تقنية الملاحظة بالمشاركة التي كشفت عن قدسية الماء وارتباطه برموز كالبركة، الخصب...الخ. وأخيرا تعمل الطقوس المائية على إحياءصور المقدس الشعبي ومجالاته: الأودية، العيون، الآبار، السواقي، الأضرحة.. . وإنتاج مجموعة من المظاهر الاجتماعية ومجموع العادات، التي تحمل دلالات كبرى لمدى أهمية عنصر الماء بهذا المجتمع.

3.3.1.2. الدراسات الغربية:

دراسة **ريتشارد فايسوبويكارتولاوفر**حول" تصنيف لمواد التراث الشعبي" (محمد ا.، 1988)، ومن ثم دراسة العادات والتقاليد كصنف منها حيث ركز كل من بويكارتولاوفر على تقديم صورة شاملة عن ميدان الفلكلور ونشاط البحث العلمي ، دراسة تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية، وإبراز أهم الاتجاهات النظرية في علم الفولكلور، تم الاستفادة منها في توضيح الرؤية في كيفية تجميع المادة الثقافية في الحاضر ودراسة بين مختلف الطبقات الاجتماعية وثقافة المجتمعات المتحضرة والبدائية، أي توجيه ميدان الدراسة واعتبار الثقافة الشعبية كحالة نفسية اجتماعية ذات بعد ريفي حضري وإعادة إنتاج التراث.

4.1.2. أهداف البحث:

معرفة العادات الاجتماعية التي تجعل استخدام الماء ممارسة اجتماعية ذات بعد رمزي.

2.2.المرحلة الثانية من المنهجية: الميدان

1.2.2.حدود الدراسة:

يعتبر مفهوم العادات الاجتماعية مفهوما واسعا، يشمل كل مظاهر السلوك الانساني، وهنا سوف تقتصر الدراسة على نحو الاعتقادات في استخدام الماء، والطقوس التي تصاحبها، كما ستقتصر على بلديتين هما باب الواد ذات بيئة حضرية وتمنطيط ذات بيئة شبه حضرية .

فتمت المقابلة مع المبحوثين الأسر في مدينة باب الواد بداية من 18 أوت 2010 إلى نهاية الشهر، أما في بلدية تمنطيط بداية من 10 أكتوبر2010 إلى غاية 25 من نفس الشهر، تمت بمراعات المناخ الصحراوي وتأثيرها على صحة الباحث، وبمساعدة المرشد هداجي عمار للمنطقة.

2.2.2. المنهج المتبع في الدراسة : تم الاعتماد في الدراسة على ثلاثة مناهج هي:

1.2.2.2.المنهج الوصفي: هو المنهج الذي يقوم فيه الباحث بوصف الظاهرة كما هي في الواقع وصفا دقيقا كما وكيفا (رشيد، 2007، صفحة 86). وذلك لتصوير بعض العادات في استخدامات الماء.

2.2.2.2. المنهج المقارن: يوظف المنهج الوصفي مع المنهج المقارن في بعض البحوث المقارنة، كما يوظف المنهج المقارن مع المنهج الوصفي في بعض البحوث الوصفية (رشيد، 2007، صفحة 86). استعمل في الدراسة للمقارنة بين مجالين حضريين متخلفين تجمعهم ثقافة اجتماعية بدائية.

3.2.2.2. المنهج الأنتروبولوجي: لقد تم الاستعانة بهذا المنهج لأنه هو طريقة وصف الإنسان في مجتمعه (ROBERT, 1984)، فمن خلال دراسة بعض العادات التي تصاحب استخدامات الماء، تتضح مكانته في الطقوس ومراسيم الأعياد والحياة اليومية.

3.2.2. التقنيات المستخدمة في جمع المعطيات الميدانية :

الملاحظة (المباشرة البسيطة وبدون مشاركة، والملاحظة بالمشاركة) فهي من الطرق المهمة والأساسيةفي جمع المعلومات والحقائق من الميدان الاجتماعي... والاطلاع على معتقداتهم ومواقفهم وأغراضهم (أنجرس، 2006، ص 185). فالملاحظة بدون مشاركة تمت بمراقبة سلوك أفراد الأسر الجزائرية عن كثب، دون أن تشارك في أي نشاط اعتمادا على المشاهدة، الاستماع، ومتابعة سلوكهم في مختلف الأماكن، وهذا من أجل فهم أسباب ودوافع القيام بهذه الطقوس المائية. أما الملاحظة بالمشاركة فقد اعتمد مالينوفسكي على هذه التقنية لسنوات عديدة في جمع المعطيات الميدانية، وهي دراسة الظواهر ذات البعد الحسي، وبالتأمل الشخصي في مشاركة الجماعة وعضويتها، سمحت هذه الملاحظة بحضور عدة أجواء في كلا البلديتين والكشف عن تجذر قدسية الماء وارتباطه بعدة رموز في ذهنية الجماعية للأسر الجزائرية.

والمقابلة تحتوي على محورين المحور الأول البيانات السوسيو ديموغرافية والمحور الثاني العادات في استخدام الماء، حيث عرفها "أنجلش": بأنها محادثة موجهة يقوم بها الباحث مع المبحوث، بغرض الحصول على معلومات لتوظيفها في البحث العلم (رشيد، 2007، ص 247). واللذان سمح بوصف وتحليل الظاهرة محل الدراسة.

4.2.2. مجتمع الدراسة وحجم العينة :

1.4.2.2.أسباب اختيار البلديتين: تم اختيار البلديتين عن غيرهما من البلديات الجزائر لعدة أسباب نوجز أهمها فيما يلي :

- أسباب طبيعية: تنوع مصادر الحصول على الماء (البحر،العيون، الفقارة، الساقية....)

-أسباب مجالية : وجود تمايز بين البلديتين (باب الواد في أكبر مدينة جزائرية، عمرانها ذو طابع حضري. أما تمنطيط أشهر مدينة صحراوية في ولاية أدرار، عمرانها ذو طابع تقليدي)

-أسباب ثقافية واجتماعية: اختيار البلديتين(باب الواد ذات الواجهة البحرية،وتمنطيطالصحرواية) الأولى لاتحادها مع بلدية القصبة(سنة2010)التي هي كانت محل الدراسة في الأصل وأسباب غلق ممراتها وأشغال الصيانة والترميم صعب علينا البحث فيها وتم تغييرها إلى باب الواد التي تحدها وبعض الأسر تنحدر منها، والثانية منطقة توات وتاريخ الفقارة و عادات وتقاليد القصور (بوفادي،

تمليحة، نومناس..)، و أقدم الواحات، ومركز الزوايا(الزاوية البكرية..) فكلاهما لهما موروث ثقافي عريق، ومعظم الأسر لديها رصيد ثقافي لابأس به، وثقافة الشعبية. وأين تجد مختلف المستويات التعلمية والطبقات الاجتماعية، وتواجد الأصالة والمعاصرة،

-أسباب مادية وذاتية: بالنسبة لبلدية باب الواد قربها من الجامعة الجزائر2 وتوفر امكانيات المواصلات، أما بلدية تمنطيط توفر مكان الاستقبال(مع محرم) والتوجيه والاستضافة من قبل عائلة هداجي أهل الجود والكرم.

2.2.2.4.حجم العينة: وتماشيا مع طبيعة الموضوع المدروس ومشكلة البحث فقد كان إختياري للعينة "الحصصية"، وهي من العينات الغير الاحتمالية (أنجرس، 2006، ص 113)، والتي تبقى معطياتها مقبولة وملائمة، إلا أنه لا يمكن معرفة درجة تمثيلية هذه العينة بالنسبة إلى مجتمع البحث الذي أخذت منه.

كما أن هذه العينة تمكننا من الحصول على معلومات عامة لما يجري في المجتمع الدراسة، وخاصة أن مجتمع بحثنا يضم أعدادا كبيرة من الأسر، يصعب تحديدها بدقة، وقد حدد أفراد العينة ب:210 أسرة، ولكن هذا العدد موزع بالتساوي بين فئة من الشمال وفئة من الجنوب، وهذا قصد إجراء مقارنة بين هذه الفئات، خاصة وأن طبيعة موضوعنا تستوجب ذلك، وكان العدد متساويا بين الفئتين (50 % في مدينة باب الواد ، و50 %في مدينة تمنطيط)، بالاعتماد على متغير الجنس، السن، الحالة المدنية في ورقة الحصص الميدانية (Marchese, 2006, p. 5) وذلك باستجواب فرد واحد من كل أسرة (أنظر الجدول رقم (01)). وتم تفريغها بنظام.spss

3.نتائج الدراسة الميدانية:

1.3.التحليل الأنثروبولوجي لأنواع المياه المستخدمة في الطقوس لعادات الأسر الجزائرية في كلا البلديتين:

نستنتج من التحليل الإحصائي تعدد أنواع المياه المستخدمة في هذه العادات حسب مصدر الحصول عليها والمعروفة خصائصها طبيعيا واجتماعيا في كلا اللبلديتين(أنظر الجدول رقم(2)). كما تبين من التحليل الإحصائي أن أغلب المبحوثين الأسر في بلدية تمنطيط يحبون استخدام "ماء الفقارة" في ممارساتهم اليومية والطقوسية، وهذا يرتبط بالنظام الاجتماعي لسكان تمنطيط، حيث وصلت الفقارة إلى حد القداسة. كما يحبون استخدام"ماء الحمامات الصالحين" لطقوس الحمام وذلك حسب اعتقادهم بقدسية المكان.

أما فيما يخص بلدية باب الواد فأغلب المبحوثين الأسر يحبون استخدام "الماء المنبع الطبيعي" لغنائه بالمعادن فهي ترمز إلى صحة الإنسان حسب تصورهم، كما يحبون استخدام "ماء البحر والماء المرقي" لتطهير النفس وحمايتها من المصائب والمكائد من بني جنسهم.

و أيضا في كلا البلديتين يحبون استخدام "ماء زمزم" خاصة للشرب وذلك للإنعام بالراحة النفسية وصفاء الذهن من الشكوك الوهمية حول صحة الجسد.

نستنتج أن أساليب استخدام الماء هي ممارسات وقائية وأساليب علاجيةThérapeutiquesفي كلا البلديتين. وذلك من خلال الكثير من الممارسات وردود الأفعال التي تجمع مابين القول والفعل، وهو ما يدخل في إطار محاولتهم للتصدي للضرر.

ويميز ماري دوقلاس بين الثقافة الصحية الشعبية التي تقع على عاتق كل المعالجين الشعبيين وبين الأطباء، في الطب البدائي على إعتباره أنه يعتمد على ممارسات سحرية والقوى فوق الطبيعية لممارسة العلاج.

إلى جانب كل ذلك فاستخدامات الماء لا تخرج عن دائرة أوهام الناس وتخوفاتهم، كما توجد أخرى وقائية التي يعتقد فيه بعض الأسر حسب نوع الماء رمزا للتفاؤل ومصدرا للخير، ودرءا للشر. وهذا ما ستظهره المرحلة الموالية من التحليل الأنثروبولوجي.

2.3. التحليل الأنثروبولوجي لارتباط التصور الذهني بالمعتقد و استخدام الماء في الأسر الجزائرية في البلديتي:

نستنتج أن معظم المبحوثين في كلا البلديتين وحسب التحليل الإحصائي(أنظر الجدول رقم(3)) أن أغلب الأسر يستخدمون الماء لعلاج الأمراض الجسدية العضوية، وذلك باتخاذ أي نوع من المياه سمعوا عنه أنه مفيد لحالة معينة من المرض، وبالتالي يأخذ الماء وظيفة علاجية، وبالإضافة إلى مؤشر المستوى التعليمي الذي يعبر عن تدرج ثقافة الفرد ودرجة وعيه في استخدام الماء، نجد المبحوثين الذين مستواهم التعليمي جامعي هم الأكثرية الذين يعتقدون أن استخدام الماء لعلاج الأمراض الجسدية(أنظر الشكل رقم (1) يبين ذلك).

كما نلاحظ أيضا أن استخدام أي نوع من المياه له وظيفة طهارة روحية تتمثل في إزالة السحر والعين وهي تتشكل من أغلبية المبحوثين الذين مستواهم التعليمي جامعي وثانوي. يليها إزالة الأرواح الشريرة من المبحوثين الذين مستواهم التعليمي جامعي وإزالة العنوسة من المبحوثين الذين مستواهم التعليمي ثانوي. ويمتاز الماء بوظيفة ثالثة وهي قداسة روحية وتتمثل في المقدس والتفاؤل بالخير وتبرك به للزواج من المبحوثين الذين مستواهم التعليمي ثانوي.

إن الأسر الجزائرية التي مستواها التعليمي جامعي وثانوي في بلدية باب الواد ، يؤمنون كثيرا بالحسد وتأثير العين عن بلدية تمنطيط حيث الأسر تستخدم الماء لعلاج الأمراض الجسدية العضوية (أنظر الشكل رقم (2)).

وما يترتب عن الحسد والعين من ضرر يتجاوز الجسد ليشمل الممتلكات والعلاقات والمراتب الاجتماعية وغيرها... يبرز هذا الإيمان خصوصا بين القول والفعل، ومنها الرقى والتعاويذ والتمائم والأحجية وغير ذلك، ...

يرتبط تخوف الأسر الجزائرية في كلتا البلديتين من الحسد، في كونه يعني أن يرى الإنسان نعمة عند أخيه فيتمنى أن تزول عنه فتكون له دونه، وفي هذا السياق قال معاوية – رضي الله عنه- : " كل الناس أقدر على أراضيهم، إلا حساد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها" (أحمد ا.، 1404هـ، ص 170). ويقول الشاعر العربي: ما يحسد المرء إلا من فضائله بالعلم والظرف، أو اللباس والجود . فالحسود هو إنسان مصاب بمرض النفس، والحسد يعني الأثر السيء للعين الشريرة « Mauvaisœil » ، فهو فعل العين وغاية المعيان والعيون، أي الإنسان شديد الإصابة بالعين. قال بعض الحكماء: " الحسد بمنزلة الصدأ يأكل الحديد حتى يفنيه، كذلك حسد القلب يمرضه حتى يصنيه" (محمد ك.، 1999، ص 48). أما العين فهي في تعبير ابن خلدون :" تأثير نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات والأحوال، ويفرط في إستحسانه، وينشأ عن ذلك حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عما اتصف به" (عبدالرحمان، 1988، صفحة 554). ونظرا لخطورة العين على الإنسان قال الرسول – صلى الله عليه وسلم- :"ثلاثة لا يسلم منهن أحد: الظن والطيرة* والحسد. فإذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقق " (البيهقي، 2019). فالعين هي أداة أساسية للحسد(ضربة العين).

والرقية هي من فعل رقى، ومعناها الاستعانة بقوى غيبية، فوق طبيعية، للحصول على أمر نافع أو ضار. ي بمعنى التعاويذ، وهي عبارة عن صيغ كلامية مستوحاة في أغلبها من نصوص ومراجع دينية(قرآن ،أحاديث نبوية...) تقرأ أو تردد في قارورة الماء أو الكأس ...، وتستعمل لرش المكان أو جسم الإنسان أو تشرب... ، وأهم ما يميزها هو قدسية مضامينها وبلاغة أساليبها التي يطبعها السجع، لتبدو كلاما موزونا مقفى قريب الشبه بالشعر. وتكون غايتها الأساسية هي إبطال مفعول تأثير العين ودرء الأضرار الناتجة عن الحسد والسحر. وأمثلة في هذا المقام حسب ما أخبرنا به بعض المبحوثين: "قل أعوذ برب الفلق(سورة الفلق) أو(سورة الناس). و تحصنت بضاد الصمد، وبالحاء والميمين من إسم محمد". إن العديد من الطقوس والعبارات الكلامية قد تخرج عن نطاق المعرفة الدينية والمستمدة من واقعهم المعاش بهدف محاربة سلطة العين الضارة. فهذه الاعتقادات الشعبية هي من مقاسات تفكيرهم الطوطمي وتفسيرهم الخرافي والميثولوجي الواسع للأشياء، وآخر مرحلة من التحليل الانثروبولوجي تكشف عن بعض العادات وتربطها بالاعتقادات الشعبية السابقة.

*التطير هو التشاؤم، وأصل كلمة تشاؤم يدل على الجانب اليسار، وعكسه الفأل(رواه الترميذي)

3.3. التحليل الأنثروبولوجي للطقوس الاجتماعية وعلاقتها بأساليب استخدام الماء في الأسر الجزائرية لبلدية باب الواد وبلدية تمنطيط:

تحظى العادات المصاحبة لاستخدام الماء مكانة خاصة في المجتمع الجزائري وتحرص عليها بعض الأسر في كلا البلديتين، ودلت عليها النتائج الإحصائية(أنظر الجدول رقم(4))، التي تبين اختلاف العادات من بلدية باب الواد إلى بلدية تمنطيط في تطبيقها ميدانيا ولكن تتشابه في معناها العقائدي، فالماء أداة

سحرية حسب المعتقد الشعبي، والسحر الذي يعتبره تايلور شكلا من أشكال العلم البدائي يقوم بوظيفة تفسير الطبيعة والظواهر التي يلاحظها ويجربها البشر (سيمور، 2009، صفحة 308)ويمكن القول إن وظيفة عادات استخدام الماء ارتبطت بالحياة اليومية والحالة النفسية للفرد، وأيضا بالمناسبات الاجتماعية والدينية المتعارف عليها في مجتمع الدراسة، فيظهر الحقل الميداني طقوس بعض هذه العادات ومعانيها وهي كالتالي:

1.3.3.عادة "رمي الماء": هذه العادة تقترن بتصورات وممارسات سلوكية مختلفة، وفي مناسبات متنوعة تتم باستخدام مصدر مائي غير مباشر من أصله، كالأواني التي تحتفظ بالماء لفترة زمنية قصيرة، وقد تكون مصنوعة من الطين أو البلاستيك أو المعدن أو الزجاج، المهم تحوي ملء الذي يرمى مباشرة على أكثر من مرة مثل: القلة، الكوب، الدلو، قارورة، إناء. فنوع الإناء المستعمل يتحدد بحسب ثقافة كل أسرة وطبقتها الاجتماعية. وتصبح هذه العادة حدثا اجتماعيا للأسرة الجزائرية في بلدية باب الواد وبلدية تمنطيط بارتباطها بالسفر، العرس،.. وغيرها لتتعدد مظاهرها كتالي:

2.3.3عادة "رمي الماء وراء المسافر": أكثر انتشارا في بلدية تمنطيط ويتجسد معناها في عودة ذلك الشخص بصحة وعافية وقريبا إذا كان من أهل البيت، أما إذا كان ضيفا أو عابر سبيل يقيمون هذه العادة ليعود مرة أخرى. وهذا المعنى له دلالة رمزية باعتبار الإنسان كائنا اجتماعيا، يسعى تجنيب قلق الجماعة التي تهتم بأمره، ومنه حمايتها من التوتر والقلق، في مجتمع سريع التغير تعرف فيه القيم(التي ينظم بها الناس ممارساتهم وعلاقاتهم) تغيرا وعدم استقرار. فهذه العادة صحيح أنها تعمل على تواصل ربط الجماعة واستمراها، لكن ديننا الحنيف جاء بما يخالف هذه العادة ويشد أكثر على ترابط الجماعة وعدم تأثرها نفسيا وذلك باعتبار أن المسافر في حكم الغائب وحماية الله حتى يعود، و بذكر دعاء السفر " اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، والعمل بما ترضى، اللهم هون علينا السفر واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وغثاء السفر، وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال" (المحدث، 2019)وهو من الأدعية التي تزرع الطمأنينة في قلب المسافر المسلم.

3.3.3.عادة "رمي الماء وراء العروس": وتعني حياة زوجية سعيدة ببقاء الأثر الطيب والنسل العامر في نفوس الأهل والأقرباء، هذه العادة قليلة الأسر التي تعمل بها في كلا البلديتين، لكن لها دلالة اجتماعية رمزية صورية وهو استمرار الخصوبة بالزواج كما يستمر الماء في تجديد الحياة.

.4.3.3عادة "رمي الماء كل صباح أمام الباب": ويقوم بها بعض الأسر التمنطيطية لطرد النحس والأرواح الشريرة(أنظر الصورة رقم (1)). هذا التصرف يوحي بتطير الفرد الذي يخاف من الشر بمجرد فتح الباب، ويزيله باستخدام الماء كمطهر للمكان الذي يسكنه، معتقدا أن هذا التصرف هو يحميه ويحمي أفراد أسرته. فيعيد الطمأنينة لتلك النفس بالإيمان بهذه العادة، التي لا تمت للدين الاسلامي الغالب في البلديتين بصلة، و هي دائمة التكرار لوقوع النفس في الوسواس والشك، فنهى الرسول -صلى الله

عليه وسلم عن ذلك في أمور كثيرة ، وخصص دعاء للطيرة " اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك" (أحمد و السني، حصن المسلم(من الأذكار والسنة)، 1416هـ)

5.3.3.عادة "رمي الماء بين رجلي طفل رضيع" :يلاحظ الباحث اختلاف بعض العادات في بلدية باب الواد والاعتقاد نفسه في مضامينها. وأصل اعتقاد المبحوثين هو أنه تسهل عملية سيره، وهذا حسب ما قاله أحد المبحوثين من بلدية باب الواد: "نرمي الما بين رجلين طفل صغير يددش، باش يولي يجري في مشيتو". يعني أن للماء فوائد صحية من وراء الاعتقاد اللامادي لما وراء الطبيعة، الذي تحول رمزية استخدام الماء كمادة علاجية خارقة وأداة لتطوير النمو الحركي لعضلات الطفل في ظهور بوادر مشيه خلال الأشهر الأخيرة من العام الأول له.

إن عادة "رمي الماء" على الأرجح عادة سومرية، اشتهر بها الأتراك وانتقلت إلى شمال افريقيا في زمن الدولة العثمانية بالاستيطان والتجارة. وتنفل من هذه العادة إن صح التعبير عادة "رش الماء" التي تتم بواسطة أنامل أصابع اليد لرش الماء وليس مباشرة من الإناء، ولقد تم ملاحظة ذلك في حقل الدراسة في مقبرة بباب الواد(القطار) وهي عادة "رش الماء على المقابر"، وفي الحقيقة رش الماء يكون على النبتة أو الشجيرة التي فوق القبر، فكلما سقيت الشجرة كبرت وامتدت جذورها، ظنا في اعتقاد بعضهم أن الشيء الذي ينمو يخفف الذنوب على الميت، كما تتشابه هذه العادة بالاحتفالات بيوم عاشوراء في بلدية تمنطيط وذلك "برش الماء على الأضرحة والمقابر"، فتشابه الاعتقاد وذلك أنه يخفف الذنوب عن الأموات ويزكيهم، هي بدعة في الدين الاسلامي لقول الرسول-صلى الله عليه وسلم - : " كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار" (أحمد و الطبراني، رواه أبوداود(4607) وابن ماجة(42) وأحمد، 2019) .
ويا ترى؟ ما هي العادة التي تليها ؟

6.3.3.عادة "شرب الماء": شرب الماء أمر ضروري للحفاظ على الجسم السليم، ولكن هنا لا نقصد العادة الصحية للجسم، وإنما الطقوس التي تنسب إليها، فيخرج التصرف عن الوضع المألوف إلى غاية وراء اعتقاد الفرد بوجود "ماء مبارك"، أو ماء له أثار سحرية عند شربه. فما هي طقوس شرب الماء؟

1.6.3.3.عادة "شرب الماء بعد مباته في المسجد" : هي عادة تخص بلدية تمنطيط، وتظهر علاقة "المكان المقدس" والماء الصالح للشرب الذي يمتلك بعد مباته فيه صفة "مبارك" حسب معتقديه، ويتجذر الاعتقاد في تشبيهه بالماء السحري، الذي يزيل آثار السحر والعين والمس، فهو يعني الشفاء من المرض الروحي وحتى بعض الأمراض العضوية لدى بعض الأسر التمنطيطية. وهذه العادة تكشف عن حالة الخوف التي تسيطر على فكر صاحبها وامتداد هاجسها، لتحميه وتقيه الشر، ظنا منه أنه يترصده .

2.6.3.3.عادة "شرب الماء من الساقية في المولد النبوي": هي كذلك عادة تمنطيطية، يشرب بعض الأسر من الساقية تبركا وتيمنا بهذا اليوم، فالبركة تعني كثرة الخيرات، والإنسان شغوف دائما بما يبعث بهنائه وزيادة رزقه ودوام صحته وعافيته .

3.6.3.30.عادة "شرب الماء من قسري 7 عيون": وهي في معتقد الأسر التمنطيطية يجلب الحظ للأنثى بزواجها أو التبرك به للحياة السعيدة. كما نجد أيضا طقوس هذه العادة تمتد في الختان أو الطهارة للأطفال الذي هو سنة دينية تجسد بداية انخراط الطفل وإدماجه في النسق السوسيوثقافي، بأخذ سبع قطرات من ماء القسري(الفقارة) للشرب ووضعها على العضو التناسلي المختن تيمنا له بحياة هنيئة. كما نلاحظ أن رقم "سبعة"(7) يدل على حسن الحظ والفال السعيد والطريق المربوح...إلخ، وهو مأخوذ من الحجاج الذين يطوفون في الكعبة سبعة مرات، أو حسب اعتقاد آخر سبع سموات. ...

4.6.3.3.عادة "شرب 7قطرات من كوب الماء للحزوقة (الشهقة)": هي عادة شعبية ترددت في بلدية باب الواد وشملت بعض الأسر، ورقم 07 هو عدد مرات كميات شرب الماء على شكل متواصل للتخلص من الحزوقة، التي تصيب مختلف الفئات العمرية، وفي أغلب الأحيان تزعج وتحرج الفرد المصاب. وهذه العادة هي خبرة لتجربة أناس لم يتفقهوا في العلم وإنما بإيمانهم القوي في معالجة الضرر بالماء لتصبح هذه الخبرة في متناول المتعلم والغير المتعلم .

7.3.3.عادة "الاستحمام بالماء": هي نوع من ثقافة الاستحمام الواسعة والمتشابهة في معظم الديانات، وانتقلت معها طقوس ورموز من جيل إلى جيل حسب الواقع الاجتماعي المعاش، ولها أهمية ودورا في استقرار الحالة النفسية للفرد واتزانها مع روح الجماعة وصفائها وطهارتها مع الخالق .

1.7.3.3.عادة "الاستحمام بالماء يوم عاشوراء": يوم "عاشوراء" هو مناسبة دينية في كلا البلديتين، لكن الأسر في بلدية تمنطيط لديهم عادات كثيرة في هذا اليوم من بينها عادة "الاستحمام بالماء"، وحسب ما صرح به بعض الأسر في المقابلة أن أهمية هذا اليوم يرتبط باعتقادهم بتطهر النفس من كل الذنوب ويصبح ذلك الإنسان نقيا طاهرا بعد هذه الممارسة، فيشبه الإنسان الذي اعتمر وحج بيت الله في مكة الذي عاد إلى بيته كما ولدته أمه خال من الذنوب والمعاصي . وهي عادة وتقليد عميق في الثقافة الصحراوية لها طقوس خاصة بها، كطقس "الغمر والغطس في الصباح الباكر ليوم عاشوراء"، يقوم به بعض الأسر التمنطيطية لطرد النحس والأرواح الشريرة، ويعتبرون أن "عوم الصغار في صباح اليوم الباكر من عاشوراء" ييسر نموهم بعيدا عن الأرواح الشريرة. إن الاحتفالات بيوم عاشوراء تتضمن طقوس مائية وهي طقوس تطهيرية ووقائية، ويقول فويستر مارك: "على الرغم من الاعتقاد السائد في بعض مناطق المغرب بأن عاشوراء حداد على مقتل أبناء علي بن أبي طالب، وأحيانا على موت الرسول عليه السلام، وعلى الرغم من توقيتها الذي يصادف اليوم الثاني من محرم وهو الشهر الأول للسنة الهجرية فأنها طقس شمال إفريقي لا ينتمي إلى الإسلام ولا إلى الوثنية العربية" (عبد الغاني، 2006، ص 23)

2.7.3.3.عادة" الاستحمام بسبع موجات": فالمبحوثين الأسر لمدينة باب الواد يربطون كثيرا هذه العادة بالرغبة في طرد الشر وإبعاد النحس والعين وإزالة السحر، وتسهيل عملية البيع والشراء، وأيضا التبرك به للزواج وإزالة العنوسة. وكذلك الجو الأسري المليء بشحنات الغضب والقلق، والنرفزة لأتفه الأسباب، وإضفاء طابع المودة والوئام أو تجديدها داخل الأسرة، وخاصة العلاقة بين الزوجين.

إن ماء البحر يحمل دلالات صورية في المخيال الاجتماعي التي تكون على شكل شفرات، تحلل بكيفية استخدامه والغرض من هذا الاستخدام، يقننه اختلاط المعتقدات الدينية بالممارسات الاجتماعية في اطار حماية وتطهير الذات البشرية وبالأخص تضميد الارهاق النفسي ومعالجته بنزع الشوائب التصورية المتراصة من خلال تطبيق هذه العادة.

3.7.3.3.عادة " ذهاب العروس إلى الحمام العمومي قبل ليلة زفافها": وارتباطا بطقوس الزواج، فقبل أيام الزفاف، تذهب العروس وقرينتها من البنات من إخواتها وأقربائها والأحباب إلى الحمام العام في بلدية باب الواد للغسل والتطهر، ويكون جوا احتفاليا داخل الحمام، في موكب حماسي موسوم بكثير من التصفيقات والزغاريد المتعالية والأغاني، أما في بلدية تمنطيط، فالعروس تستحم في منزلها بماء الفقارة تيمنا وتبركا بالحياة الزوجية السعيدة، وكذلك نفس العادة بالنسبة للزوج.

4.7.3.3.عادة " تشابك أيدي العروسين في الماء": وفي الأعراس التي يحدث اقتران الرجل مع المرأة، تظهر هذه العادة في تمنطيط، التي يتمنون الأزواج فيها الحياة السعيدة ورزقهم بأولاد صالحين.

5.7.3.3.عادة "تضييف الناس للدار بوضع الماء في الجبهة": هو نوع من الترحيب لدى بعض الأسر التمنطيطية، وحسب قول أحد المبحوثين:" زارتنا بركة"، والمعنى هي النية الصافية في الاستضافة تشبه صفاء الماء ونقائه، وهو تمرير نوع من الاطمئنان وكسب محبة الضيف.

6.7.3.3.عادة " عدم الذهاب والتزود من الساقية عندما تكون جنازة في القصر": ارتبطت هذه العادة بالحزن على الميت في بلدية تمنطيط، إن فقدان شخص ما بالوفاة يترك أهل القصر في حداد فلا يتزودون ماء من الساقية ذلك اليوم، حيث البعض يفعل ذلك حزنا على الميت، والبعض الآخر خوفا من المرض الذي قد يلحقهم بالميت. وهو التطير من وقوع حادث سيئ إذا شرب منها، قال الرسول-صلى الله عليه وسلم -:" ليس منا من تطير أو تطير له...." (البازار و الآخرون، 2019)

7.7.3.3.عادة " قول بسم الله عند المرور على ماء ملوث أو نظيف" : تكررت هذه العادة لدى الأسر في بلدية باب الواد، وذلك لخوفهم من أن يمسهم جن أو شيطان حسب نوع الماء، فإذا كان الماء ملوثا تسكنه روح شريرة، أما إذا كان نظيفا فتسكنه روح طيبة، لاعتقادهم بوجود الشياطين والجن أينما يكون الماء. إن ذكر اسم الله معناه أني مستعينا بالله، والاستعانة وراءها مصالح وهي الطمع في الوقاية من الشر.

8.7.3.3.عادة " أخذ الماء من سبع بيور أو عيون ": يقوم به بعض الأسر في بلدية باب الواد لملء البوقال وهو إناء صغير يستعمل في البوقالات (مصنوع من الفخار)، وهذه العادة كثيرا ما تتكرر في شهر رمضان من كل سنة هجرية، فتلتم النسوة مع بعضهن من بنات الأهل والجيران وحتى بحضور الأقارب، وأحيانا يكون فيه جنس الذكر من الشباب. فكل شابة وشاب يحمل أمالا بالحظ السعيد أو العاثر الذي يخفيه القدر مع التفاؤل والطاقة الإيجابية،كيف ذلك؟ تقوم صاحبة البوقال بوضع خواتم الفتيات داخل البوقال مملوء بهذا الماء وتقرأ عليهم البوقالة، فيسحب منه أحد الخواتم، وصاحبته تنتظر فالها بعد رمي الماء قدام الباب، وحسب ما تسمعه في الخارج هو فالها. جاء على ذكر لسان أحد المبحوثين أن الفال هو: "إذا سمعت الزغاريد سعدها مربوح، أو سمعت صوت سكران هذا هو سعدها، إذا سمعت الزقى سعدها في دارها الزقى."...

كثير هي العادات التي لها علاقة باستخدام الماء لدى الأسر الجزائرية في البلديتين والتي كشفت على البعض الآخر تقنية الملاحظة الميدانية وبالأخص عادة " تنظيف المنزل وما يحتويه بالماء في المناسبات" منها الدينية والاجتماعية (رمضان، عيد الفطر وعيد الأضحى، العاشوراء، الأعراس،..) قبل حلولها بأيام معدودات، يتم تنظيف البيوت والأواني والأفرشة والزرابي ليكون المنزل طاهرا ونظيفا، عند حضور الأقارب والأحباب، فتكون النظافة جاذبية الربط ولم الشمل، فانعدام النظافة يشعر الإنسان بعدم الراحة وفي بعض الأحيان بالتقزز، مما يضطر إلى تقليل من تبادل الزيارات أو عدم حضوره. ويرى "ماري دوقلاس" أن النظافة هي في تصوراتنا وأفكارنا الصحة الجيدة، وهي دخيلة للطقوس القديمة التي هي في قلب القاعدة الصحية، لكن لا نعتقد أن هذه هي قلب كل شيء في مواجهة الأفكار الخاصة بنا حول النظافة والنجاسة (Mary, 2001, p. 63.65.68) فالنظافة تجسد أواصر التلاحم والتواصل العائلي، وفي ذلك تكريس لمعاني التآزر والتماسك الاجتماعي.

وكما يعتقد البعض لدى الأسر في بلدية باب الواد أن هذا من ضمن الطقوس الاجتماعية التي تزيل الثقاف)ومعنى "الثقاف" التعطال لدى الأسر في بلدية باب الواد ويخص أكثر المرأة العانس(البايرة باللغة العامية) أما في بلدية تمنطيط هو في معنى الربط، وهذا نوع من السحر تقوم به الساحرة بالاستعانة بالشياطين ليصيب منطقة المركز المهيمن على الأعضاء التناسلية في المخ فلا يحدث الانتصاب فيفشل الجماع بين الزوجين.)ويجلب السعادة والفرح إلى المنزل .

ومن العادات التي تفرزها الطقوس الشعبية الأخرى وتبرز تصور الإنسان الصحراوي التمنطيطي أو الساحلي العاصمي من باب الواد لأيام الأسبوع، أنه يفضل ارتداء للملابس الجديدة أو النظيفة يوم الجمعة المخصص للطهارة والاغتسال اقتداء بالسنة النبوية، كما يكره غسل الملابس وقت العصر والأوقات التي تليها من الليل، ظنا منهم أنها أوقات حضور الجن والشياطين، فيخافون منهم أن يمسوهم بسوء، فيخرج الإنسان عن حالته الطبيعية إلى الهلوسة والجنون. لذلك نجد أغلبية المبحوثين من الأسر في البلديتين يلجأون إلى الماء المرقي لمعالجة او التخفيف عن المريض.

وتمتد المعتقدات الشعبية في كلا البلديتين حيث يسود الإيمان بفعالية الماء المرقي أو ماء البحر بأن لها تأثير قوي على المخاطر الناتجة عن العين والحسد.

فمثل هذه المعتقدات تلعب دور آليات الدفاع «Mécanismes de défense » وتشيع نفسانيا نوعا من الاطمئنان إلى القدر وتزرع الهدوء في نفسية المتأزم .(Cruso, 1969, p. 49.58) وثمة طقوس شعبية أخرى لا تفسر سوى باعتبارها عمليات تطهير للنفس من الهلوسة والتخوف من المستقبل.

هذا كله يبين أن المعتقدات الشعبية هي وليدة ظروف معينة تعايش معها الإنسان وأصبحت فيما بعد تشكل جزءا من حياته لا يستطيع الاستغناء عنها (لخضر، 2008، ص 73)

خاتمة:

وانطلاقا من الملاحظات التي كوناها والمقابلات التي أجريناها مع الأسر في البلديتين توصلنا إلى وجود الفكر الميثولوجي في المعتقدات والطقوس الشعبية، المتوراثة عبر الأجداد والأسلاف في الأسر الجزائرية في بلدية تمنطيط وبلدية باب الواد، رغم بعض الاختلافات في نوع الماء المستخدم كماء البحر وماء الفقارة على حسب طبيعة المجال الجغرافي يختلف مصدر الماء، وبعض العادات التي تعكس ثقافة الأسر في كل بلدية وتعبر عن تجارب طويلة لحياة الناس خلال تاريخهم الطويل والحافل بالتعدد والتنوع، وهذه المناسبات(الأعياد، الأعراس....) الاحتفالية والطقوسية يختلط فيها الديني بالأسطوري .

كما يجسد ذلك التعاطي لهذه المعتقدات الشعبية وممارستها على نحو ما تعبر عنه بالفأل والطيرة، والرغبة في العلاج والمداواة، وإن كانت تروم في مجملها الرغبة في تحصين الجسد والدفاع عن ملكيته، الأمر الذي دفع إلى التقديس والتمجيد للبعض منها. وهكذا تتضح شمولية المعتقدات باعتبارها تجسيدا لأفكار وأحاسيس الناس إزاء الظواهر الطبيعية والظواهر النفسية كالحياة وتترك معتقداتهم أثرا واضحا في سلوك المجتمع وتسمه بعادات وتقاليد شعبية غارقة في التعقيد.

والدور المهم الذي يلعبه الماء أنتروبولوجيا هو مزاولة طقوس الطهارة والنظافة حسب المعتقد الديني والاجتماعي للبلديتين، فاستعمال الماء لا يقتصر في ممارسات العناية الصحية للجسد فقط، بل يتعدى ذلك إلى الخروج بعادات تقرب السلوك البشري في تفضيل الحياة السعيدة وتحصيلها بشتى الطرق حسب معتقد قديم متعارف عليه في مجموعة أو تقليدا لخرافة وأسطورة صورها الإنسان في مخيلته وقدمها لغيره كتجربة ناجعة لتجنب الضرر. والمعنى العام والتقليدي لاستخدام الماء وراء هذه العادات هو السهولة والتوفيق والحظ الجيد والابتعاد عن المصاعب والمشكلات.

كما كشفت هذه العادات عن قدسية الماء من خلال ممارستها لمحور طقوسها، والتي هي في علاقة مستمرة ومتكررة تبين مصلحة الفرد ومتخيله الرمزي من بنية المعتقد. ولكن أغلب هذه العادات تخرج عن التفكير الديني الذي يسير حياة المجتمع، والذي بدوره يحمي المعتقدات الدينية عن المعتقدات الشعبية التي تحتوي على مظاهر الشرك وحاربها الدين الإسلامي، ونهى عن التصرفات

والسلوكيات الخاطئة التي تجعل العبد أسيرا لها وغافلا عن التوكل على الله، والاتكال على الأشياء الساكنة أو على غيره من البشر، والتي تترك الفرد يعيش في دوامة الخوف والاضطراب النفسي مالا نهاية له، إذا جهل بأمور دينه، جهل بأمور دنياه، وبالتالي استقرار نفسي نسبي لحياته ومحيطه الاجتماعي في ظل هذه الطقوس.

قائمة المراجع

1. ابن خلدون عبدالرحمان. (1988). المقدمة. لبنان: دار الجبل.
2. أحمد، و ابن السني. (1416ه). حصن المسلم(من الأذكار والسنة) (الإصدار الطبعة 17). الرياض: مؤسسة الجريي للتوزيع والاعلان. تم الاسترداد منhttp://www.dorar.net.
3. أحمد، و الطبراني. (2019). الدرر السنية مرجع علمي على منهج أهل السنة والجماعة (الموسوعة العقدية). تم الاسترداد منhttp://www.dorar.net/aquadia/4435.
4. إسعد فايزة. (2013). العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة(رسالة دكتوراه). 105. ولاية وهران ، قسم علم الاجتماع، الجزائر: كلية العلوم الاجتماعية.
5. الأندلسي بن عبد ربه بن محمد أحمد. (1404ه). العقد الفريد (الإصدار الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.
6. البازار، والآخرون. (2019). الدرر السنية مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة(الموسوعة الحديثية). تم الاسترداد منhttp://www.dorar .net.
7. البيهقي. (2019). الدرر السنية مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة(الموسوعة الحديثية). (الموسوعة الحديثية، المحرر) تم الاسترداد من http://www.dorar.net/h/42c823c600ff5d259acddc6f6a9693b6.
8. الجوهري محمد. (1988). دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية. الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
9. السهلي الباش حسن، و توفيق محمد. (1988). المعتقدات الشعبية في التراث العربي (الإصدار ط1). دمشق: دار الجليل.
10. السواح فراس. (1994). دين الإنسان. دمشق، سوريا: منشورات دار علاء الدين للتوزيع والنشر.
11. المحدث. (2019). الدرر السنية مرجع علمي على منهج أهل السنة والجماعة (الموسوعة الحديثية). تم الاسترداد منhttp://www.dorar.net/a47eb237113bab7c977fb7192d8a21c2.
12. بن عرفة إبراهيم، و معتوق جمال. (2017). الماء بين المقدس والطقوس الممارسة (دراسة مونوغرافية في منطقة بئر الذهب تبسة). (العدد الخامس)، 7-22. جامعة البليدة2: مجلة الأنثروبولوجيا.

13.بن معمر عبدالله. (2010). المكان والزمان في الثقافة الجزائرية،مقاربة أنثروبولوجية(رسالة دكتوراه). 115. جامعة تلمسان، قسم علم الاجتماع.
14.حشلافي لخضر. (2008). المعتقدات الشعبية والتراث الشعبي. مجلة كتابات معاصرة، 17(العدد68)، صفحة 73.
15.حمودة حنان. (2016). الماء كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج الطقوس بواحة سكورة جنوب المغرب. (الشرقاوي عبد الكبير، المترجمون) تم الاسترداد من www.anthropos.com.
16.دينكن ميتشل. (1998). معجم علم الاجتماع (الإصدار ط1). (احسان محمد الحسن، المترجمون) بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
17.زرواتي رشيد. (2007). مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
18.سعيدي محمد. (1998). العائلة،عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر: الظاهرة الاحتفالية بالأعياد، نموذجا. مجلة الإنسانيات،(العدد 4)، صفحة 42.
19.شارلوت شميت سيمور. (2009). موسوعة علم الإنسان (المجلد 2). (تر مجموعةمن الباحثين بإشراف الدكتور محمد الجوهري، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
20.عبد الغاني عماد. (2006). سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
21.كشكاش محمد. (1999). لغة العيون (الخالديات : المختار من شعر بشار) (الإصدار الطبعة الأولى). صيدا بيروت: المكتبة المصرية.
22.مجموعة من الكتاب. (1997). نظرية الثقافة،. (علي سيد الصاوي، المترجمون) (العدد 223)، صفحة 114.
23.منديب عبد الغاني. (2006). الدين والمجتمع"دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب". دار البيضاء: إفريقيا الشرق.
24.موريس أنجرس. (2006). منهجية البحث في العلوم الانسانية. (ترجمة أبوزيد صحراوي وآخرون، و صحراوي و آخرون تر أبوزيد، المترجمون) الجزائر: دار القيمة للنشر.
25.Cruso, I. A. (1969). Psychanalyse et société: de la critique de l'idéologie à l'autocritique. (presee.fr, Éd., & J.-M. Brohm, Trad.) l'homme et la société.
26.Malinouwski, B. (1968). Une théorie scientifiques de la culture. Paris.
27.Marchese, O. (2006). Enquetes par quotas et sondage aléatoire... Paris: CNAM Cedric.

28.Mary, D. (2001). De la souillure"Essai sur les notions de pollution et de tabou". Paris: /tart.de l'anglais Anne Guérin.

29.ROBERT, P. (1984). dictionnaire de la langue française. Paris, France: Le Robert.

30.Segalen, M. (1998). Rites et Rituels Contemporains. Paris: édition Nathan.

31.www.encyclopedid.com. (2017, 12/ 28). Water Use. Chicago.